جمهورية حيوانات

لنقولا الحداد

رووا ان الدجاجة قالت للحدأة ذات يوم : بالله علميني التحليق في الجو مثلك لكي أسلم من غزو الثعالب وبنات آوى . فانها تسطو كل يوم علينا وتروعنا وتخطف ما ما تستطيع حمله

فقالت الحدأة : ليس الطيران علماً يا عزيزتي وانما هو جناحان طويلان عريضان . وانتِ طائفة الدجاج فقدتنَّ طول الجناحين وعرضهما منذ اعتمدتنَّ في رزقكنَّ على الانسان: على اني أرى ان حيلة « فرّق تسد » قد تنقذكنَّ أحياناً من أنياب الثعالب والذئاب

قالت الدجاجة : ما هي حيلة فرّق تسد ؟

قالت الحدأة : سأعملها أنا وأريك

ومضت الحدأة ورأت ذئباً فسألته : كيف الحال يا صاحب

فقال : جوع ولا شبع . وتعب ولا راحة . أقضي الليل بعد النهار في السعي وراء دجاجة او بطة ، حتى اذا ظفرت بها اضطررت ان أقدمها الى الأسد ، لكي يمنحني منها ولو عظمة والاّ فيسحقني سحقاً

فقالت : ان الأسد ملككم طاغ ظالم طاغٍ . فلماذا لا تخلعونه وتؤلفون منكم جمهورية تقسم الرزق بينكم بالعدل فلا يذهب الجانب الاكبر منه الى الملك ووزرائه وأعوانه وهم لا يسمون ولا يتعبون في تحصيله ؟

— والله انها لفكرة صائبة . ولكن كيف نستطيع خلعه وهو قوي وله أعوانه

— أقوى أعوانه النمر وزيره الاول . عدوا النمر برآسة الجمهورية . فينفصل عنه ويعاونكم على خلعه

— والله ان لك لحكمة الفلاسفة . سنفعل

ومضت الحدأة . فرأت النمر : السلام عليك ايها الوزير الخطير . كيف الحال

— والله ان الرعية كسول . فقلّ المورد

— قلّ المورد لان الأسد ملككم لا يضع الرعية لكي تشبع وتقوى على الصيد والقنص

— صدقت . انهُ شديد الطمع عديم الشبع . يحرم الشعب حتى الوزراء احياناً

— أنت أول منهُ وأجدر إياهذا النمر . لانك أشد اعتدالاً وأوفر عدلاً ولست أقل منهُ بأساً وبطولة . فلماذا لا تخلعونهُ وتتولى الحكم أنت ؟

— كيف نستطيع وهو يجند كل الرعية للدفاع عنه ؟

فدنت الحداة من النمر وهمست في أذنه : الكلام بسرك . ان الرعية ضاقت ذرعاً بهِ وأظنها تتآمر الآن عليهِ لخلعهِ وانشاء جمهورية تقسم الرزق بالعدل . فاقبل نصحي وترأس المؤامرة تكن رئيس الجمهورية ، ثم دكتاتوراً ، ثم ملكاً مطلق السلطان . فاذا عدلت بقي الصولجان لك

***

وما هي الا أيام معدودة حتى تمت المؤامرة وتألفت الجمهورية سرًّا . وما درى الاسد الا وقد دخل اليهِ في عرينهِ وفد من القرود والضباع والذئاب وأبلغوه ان حكومة الشعب الجمهورية قد قررت خلعه لشدة ظلمه . وانه سيبقى اسيراً في عرينه والسلاسل في يديه ورجليه ، ويقدم له كل يوم نصف رغيف خبز

فقال الملك الاسد : أين النمر ؟ لا أراه معكم في وفدكم . لقد أبدلتم بملككم وزيره . لسوف ترون هل تكون جمهوريتكم الزائفة أعدل من ملككم . انّ الحكم الذي حكمتموه عليَّ لا قبل لكم على تنفيذه ، لان اخواني الاسود سيأتون لانقاذي . فاذا تركتموني أبرح الى منطقة أخرى بعيدة عنكم ضمنتم الامن لكم

— كيف نضمن انك لا تنقلب علينا ولا تغدر بنا ؟

— أعاهدكم بشرف الملوك . أنتم الآن عصبة فلماذا تخافون مني

قالوا : أكتب لنا ميثاق الامان بيننا وبينك

فكتب الميثاق : وانطلق الى غابة بعيدة

***

ما انقضت برهة طويلة على الجمهورية حتى صار النمر دكتاتوراً أشدّ ظلماً وجشعاً من الاسد الملك . فكان يفرض على الذئاب والضباع والثعالب وبنات آوى قدراً معدوداً من الدجاج والنعاج والماعز . فاذا لم يؤدُّوا هذه الاتاوة عاقبهم عقاباً شديداً

حينئذٍ اعتصمت الوحوش وامتنعت عن الصيد والغزو والسطو . فقال النمر الدكتاتور : اذا امتنعتم عن الصيد ايها الاغبياء فماذا تأكلون ؟

قالوا : نأكل العنب والقثاء والخيار وسائر الفاكهة لاننا نباتيون كما ننا أكلة لحوم . وأما أنتم الخمرة والفهود فلا تعيشون من غير لحم ودم . فموتوا جوعاً

ومضت مدة كانت أكتاف الدجاج وحظائر الاغنام في أمن من غزوات الوحوش . واما النمر فاستعان بالفهود لتأديب تلك الوحوش وارغامها على العمل حتى ضاقت ذرعاً به

وندمت الوحوش على خلعها الاسد لان الخرجاة بعده أشد طغياناً وأسوأ عسفاً وظلماً . واجتمعت في مؤتمر سري وبحثت في الامر وقررت ارسال وفد الى الاسد لكي يسامح منه ويستعطفه عسى ان يعود الى عرشه رافقاً بهم

ولما مثل الوفد بين يدي الاسد يستعطفه قال الاسد ، لن أعود الا اذا خلعتم النمر كما خلعتموني ، وجئتم جميعاً اليّ تبايعونني وتحلفون يمين الطاعة لي

فعاد الوفد حزيناً لانهم رأوا ان عودة الاسد الى عرشه ستكون نقمة أشد وطأة عليهم

***

وفيما الوفد عائد يحمل حنين صادف فيلاً . فقال احدهم : لماذا لا نضع صولجان الملك في يد هذا الفيل . فهو أقوى من الاسد والنمر وهو لا يفرض اتاوة علينا لانه لا يأكل لحوماً

فاستوقفوه وعرضوا الامر عليه . فضحك وقال : أتظنون انكم فيما تبحثون عن سيد يحكمكم تنفضون عن رقابكم نير العبودية ؟ الاحرار لا يفتشون عن سيد

قالوا : نريد ملكاً ديموقراطياً

فقهقه وقال : الملكية المطلقة والديموقراطية لا تجتمعان . إما هذه وإما تلك

قالوا : ماذا تفضلون ايتها الفيلة في نظامكم السياسي ؟ قال : نحن جمهورية بحتة

— اذن ، يربك تعال كن عندنا رئيس جمهورية

فأمعن الفيل في القهقهة وقال : لا تصلح الجمهورية لكم . ولا أنتم تصلحون لها

— كيف يمكن ان نصلح لها ونصلح لنا ؟

— تصلحون لها اذا صرتم كلكم أسوداً بحيث يصلح كل فرد منكم رئيساً للجمهورية . نحن جميعاً افيال . وكل فرد منا يصلح ان يكون زعيماً يمشي امامنا فنمشي وراءه كتلة واحدة . واما انتم فلا تجانس بينكم . بل انتم من جنسيات مختلفة : أسد وفهد ودب وعنز وذئب وضبع وثعلب وابن آوى الخ . . . متفاوتون في القوة والشهوة والطمع . القوي فيكم يأكل الضعيف منكم فلا يصلح لكم الا الحكم الملكي المطلق بحيث يكون الاقوياء فيكم اسياداً لكم وانتم صيد لهم . تتمون وتشقون وهم ينعمون بحق تعكر وانتم تتنعمون بما يبقى لكم من الفضلات .

كونوا جميعكم سوداً فتتعادل قواكم وشهواتكم وتتساوى حصصكم في ارزاقكم . والاّ فالاقوياء اسياد والضعفاء عبيد . هذه سنة الطبيعة فمهما تحاولون ان تتمردوا عليها

***

فعاد افراد الوفد يضربون اخماساً بأسداس وهم يفكرون بفلسفة الفيل الحكيم وما ان رووا الخبر بتفاصيله لاخوانهم في المؤتمر حتى باغتتهم « طابور » من الاسود يضرب نطاقاً حول مؤتمرهم . ثم أعلن قائد الطابور « ان الاسود قد رأت ان سعادة المملكة في تلك المنطقة تتوقف على الحكم الجمهوري العادل ، فألّف الاسود جمهوريتهم . وقررت هذه الجمهورية ان تسود المملكة وان تدرّب سائر الوحوش على العمل تدريباً نظاميّاً يكفل لهم الرزق بحسب ما يفرض عليهم من العمل . وليفهم الوحوش ومن جملتهم الخنزرة أنهم جميعاً عبيد الجمهورية الاسود وعليهم الطاعة المطلقة »

عند ذلك انبرى رئيس الوفد وتقدم الى الأسد رئيس الجمهورية ورفع ورقة بيده وقال : هل لمعي الرئيس هذا الميثاق — ميثاق شرف الملك

فقال الأسد : هذه قصاصة ورق . وقد مزقتها فلسفة مستشاركم الفيل

***

وكانت الحدأة والدجاجة على فرع الشجرة تشاهدان مجلس الحيوانات الاخير وتسمعان فقالت الدجاجة للحدأة : ما استفدنا من حيلتك يا صاحبتي الاّ ان جمهورية الضواري جاءت أشد نكبة علينا من دولة الأسد

فقالت الحدأة : الاسد لا يعزو أكنافكنّ بل الثعلب . فأين الكلب حامي الدار ليحميكنّ من الثعلب ؟

فقالت الدجاجة : الكلب لا يصول الاّ متى كان الى جنب سيده . والاّ فهو جبان يفتح من بعيد فلا خير لنا فيه

فنبرى الكلب من فوق الجدار وقال : انك مأكولة على كل حال يا مغفلة . ان لم يأكلك الثعلب يأكلك سيدي

فذُعرت الدجاجة وقالت : آه . أجل اني مأكولة على كل حال لان ذنبي ان لحمي لذيذ

فأطلت فأرة من وكر في الجدار وقالت : ان ذنبي كذنبك يا عزيزتي . لحمي لذيذ للسنور فسنحطه . تنا فذ النظام الحيواني الظالم

فنبرى السنور وقال : صحيح ان هذه شريعة داروين وقد أجمع العلماء على انها أصح شريعة للطبيعة